

نماذج من الرقي الأخلاقي

(٨)

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم





مواقف في الكرم والإحسان

(٣)





من مواقف الليث بن سعد رحمه الله
من مواقف الكرم مذكوره
الحافظ ابن كثير عن الإمام الليث بن
سعد الفهمي أنه استهداه الإمام
مالك شيئاً من العصفر لأجل جهاز
ابنته، فبعث إليه بثلاثين حملاً،
فاستعمل منه مالك حاجته وباع منه
بخمسة دینار وبقيت عنده منه
بقية.

قال: وحج مرة فأهدى إليه



مالك طبقا فيه رطب، فرد الطبق
وفيه ألف دينار.

قال : وكان يهب للرجل من
أصحابه من العلماء الألف دينار
وما يقارب ذلك^(١).

فهذه أخبار عالية في السخاء
تدل على عظمة هذا الإمام وتقدمه

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٧١.



في مجالات البذل والمعروف
والإحسان، وما أجمل المال الصالح
للرجل الصالح الذي يقول به هكذا
وهكذا حتى يفنيه في طاعة الله تعالى
واكتساب الدرجات العلى في الجنة!



من مواقف ابن شهاب الزهري رحمه الله
من المشهورين بالسخاء الإمام
محمد بن شهاب الزهري، ومن أخبار
كرمه ما رُوي عن الإمام الشافعي
قال: عَتَبَ رجاء بن حيوة على
الزهري في الإسراف، وكان يستدين،
فقال: لا آمن أن يجبس هؤلاء القوم
ما بأيديهم عنك فتكون قد حُمِلت على
أمانيك، قال: فوعده الزهري أن
يَقْصُرَ، فمرَّ به بعد ذلك وقد وضع



الطعام ونصب موائد العسل، فوقف
به رجاء وقال: يا أبا بكر ماهذا بالذي
فارقتنا عليه، فقال الزهري: انزل فإن
السخيَّ لا تؤدِّبه التجارب ^(١).

وذلك لأن الكرم فيه خلق
أصيل، فهو يشعر بمتعة كبيرة إذا
أحسن إلى الناس وبذل لهم من ماله،

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٥٧.



كما يشعر بانقباض في النفس إذا غيّر
عادته في ذلك، هذا بالنسبة لهواية
النفس، فإذا أضيف إلى ذلك اعتبار
ذلك من العمل الصالح الذي
سيتقاضى عليه فاعله الأجر في
الآخرة أضعافاً مضاعفة فإن فاعل
ذلك يندفع بحماس ونشاط من غير
أن ينظر لما سيترتب على إنفاقه في
الدنيا، وإذا كان التاجر يغامر برأس
ماله أحياناً رجاء الربح المحتمل في



الدنيا فإن المنفق في سبيل الله تعالى
يغامر بهاله رجاء ربح محقق في
الآخرة.

من أخبار الإمام الأوزاعي رحمه الله
من أخبار الإمام عبد الرحمن
ابن عمرو الأوزاعي في الكرم
والإحسان إلى المسلمين مذكره
الحافظ ابن كثير عنه قال: قالوا:
وكان الأوزاعي من أكرم الناس
وأسخاهم، وكان له في بيت المال على
الخلفاء إقطاع صار إليه من بني أمية،
وقد وصل إليه من خلفاء بني أمية
وأقاربهم وبني العباس نحو من



سبعين ألف دينار، فلم يمسك منها
شيئاً ولا اقتنى شيئاً من عقار
ولا غيره، ولا ترك يوم مات سوى
سبعة دنائير كانت جهازه بل كان
ينفق ذلك كله في سبيل الله وفي
الفقراء والمساكين^(١).

فهذا الوصف المذكور للإمام

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٢٠.

الأوزاعي يدل على زهده في الدنيا
وسخائه المتواصل بالمال طيلة عمره،
فهو لم يدخر من ذلك المال الكثير
شيئاً ولم يُشَيِّد به قصوراً ولم يكوّن به
مظاهر دنيوية، وإنما كان ينفقه في
وجوه الخير، ولقد كان راجح العقل
صائب التفكير حينما ادخر تجارته
للآخرة، وما أبعد الفرق بين عائدات
الدنيا وعائدات الآخرة!!



من مواقف إبراهيم بن أدهم رحمه الله
من أخبار السخاء مذكره
الحافظ ابن كثير عن إبراهيم بن أدهم
التميمي رحمه الله تعالى حيث قال:
وذكروا أنه حصد [أي حصد زرعاً]
مرة بعشرين ديناراً فجلس مرة عند
حجام هو وصاحب له ليحلق
رؤوسهم ويحجمهم فكأنه تبرم بهم
واشتغل بغيرهم، فتأذى صاحبه من
ذلك، ثم أقبل عليهم الحجام فقال:
ماذا تريدون؟ قال إبراهيم: أريد أن



تخلق رأسي وتحجمني، ففعل ذلك
فأعطاه إبراهيم العشرين ديناراً
وقال: أردت أن لا تحتقر بعدها فقيراً
أبداً.

قال وقال مضاء بن عيسى:
مافاق إبراهيم أصحابه بصوم ولا
بصلاة ولكن بالصدق والسخاء^(١)
فهذا غيظ من فيض مما كان

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٤٢.



يتصف به إبراهيم بن أدهم رحمه الله
تعالى من السخاء، وقد استخدم
كرمه في هذه الحادثة لغرض دعوي،
حيث رأى ذلك الحجام يحتقر الفقراء
فأعطاه ذلك المبلغ الكبير ليُعلمه بأن
هناك من الأغنياء من يظهرون
بمظهر الفقراء زهداً في مظاهر الحياة
الدنيا حتى لا يحتقر الفقراء بعد ذلك.

من مواقف الإمام الشافعي رحمه الله
مما رُوي عنه في مجال الإحسان
وسماحة النفس مذكّره عمرو بن
سواد قال: كان الشافعي أسخى
الناس على الدينار والدرهم
والطعام، فقال لي الشافعي: أفلستُ
في ذهري ثلاثة إفلاسات، فكنت
أبيع قليلي وكثيري، حتى حليّ بنتي



وزوجتي، ولم أرهن قط ^(١).
يعني أنه أفلس من كثرة إنفاقه
على الفقراء وإلا فإنه كان من الزهاد،
وكانت نفقته على نفسه قليلة.
وقال الربيع: كان الشافعي
ماراً بالحدائين فسقط سوطه فوثب
غلام ومسحه بكمه وناولته، فأعطاه

(١) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٧.



سبعة دنانير^(١) .

وهذا التصرف من هذا الغلام
دليل على أدبه وسمو تربيته فهو لم
يكتف بمناولة الإمام الشافعي عصاه
بل مسح العصا بكمه، وإن المجتمع
الذي يربي صغاره على احترام الكبار
وتوقيرهم، وخاصة أهل العلم منهم

(١) سير علام النبلاء ١٠ / ٣٧.

يكون مجتمعًا راقياً صالحاً.

وما كافأه به الإمام الشافعي
من ذلك المبلغ الكبير يُعدُّ حثاً بالغاً
على فعل الخير وخدمة المسلمين،
وكم هي فرحة ذلك الغلام بحصوله
على ذلك المبلغ! وكم كان أثر ذلك
فيه وفيمن حوله في الاندفاع نحو
بذل المعروف والإحسان إلى
المسلمين!

وقال الربيع: تزوجت فسألني



الشافعي: كم أصدقتها قلت: ثلاثين
دينارا، عَجَلْتُ منها ستة، فأعطاني
أربعة وعشرين دينارا^(١).

وحكى الربيع: إن إنسانا ناول
الشافعي رقعة يقول فيها: إني بقال
رأس مالي درهم، وقد تزوجت
فأعني، فقال ياربيع أعطه ثلاثين

(١) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٧.

دينارا واعدُرنِي عنده، فقلت:
أصلحك الله إن هذا يكفيه عشرة
دارهم، فقال: ويحك وما يصنع
بثلاثين؟ أفي كذا أم في كذا؟ - يَعدُّ
ما يصنع في جهازه - أعطه^(١).

وهذا نوع رفيع من الإحسان
والمواساة، فكم هي فرحة من أقدم

(١) سير أعلام النبلاء ٣٨ / ١٠.

على زواج وقد ضاقت به المسالك
حينما يوفق بمن يعطيه المهر كله!
وأعظم من ذلك حينما يوفق بمن
يعطيه أكثر من تكاليف المهر كما هو
الحال في ذلك البقال.

وروى الزبير بن سليمان
القرشي عن الشافعي قال: خرج
هرثمة فأقرأني سلام أمير المؤمنين
هارون وقال: قد أمر لك بخمسة
آلاف دينار.



قال [يعني الزبير]: فحُمِلَ إليه
المال، فدعا بحجام فأخذ شعره
فأعطاه خمسين دينارًا، ثم أخذ رِقَاعًا
فصَرَّ صرًّا وفرقها في القرشيين
الذين هم بالحضرة ومن بمكة، حتى
مارجع إلى بيته إلا بأقل من مائة
دينار^(١).

(١) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٨.



وقال الربيع: أخبرني الحميدي
قال: قدم الشافعي صنعاء فُضِّرت له
خيمة ومعه عشرة آلاف دينار، فجاء
قوم فسألوه، فمأُلفت الخيمة ومعه
منها شيء ^(١).

فهذه نماذج عالية في الكرم
يقدمها الإمام الشافعي رحمه الله

(١) سير أعلام النبلاء ٣٨ / ١٠.

تعالى، إلى جانب ماقدم للأمة من
علم غزير وفهم ثاقب، والكرم من
الأخلاق السامية التي تبين معادن
الرجال، وهو مع الإخلاص دليل
على قوة الإيمان، لأن بذل المال -
وهو من أعلى المحبوبات من أجل الله
تعالى- شاهد على قوة الإيمان.

من مواقف القاسم بن محمد رحمه الله
الإمام القاسم بن محمد هو
أحد فقهاء المدينة في عهد التابعين،
يقول عنه الإمام مالك بن أنس:
وكان يكون بينه وبين الرجل المداواة
في الشيء فيقول له القاسم: هذا الذي
تريد أن تخصمني فيه هو لك، فإن
كان حقاً فهو لك فخذهُ ولا تحمدني
عليه، وإن كان لي فأنت منه في حل



وهولك^(١).

وهذا يضرب هذا العالم الرباني
مثلاً عالياً في الساحة والبعد عن
الخلاف والمراء، وهذا الخلق الكريم
ينطبق عليه الثواب الجزيل الذي
ذكره رسول الله ﷺ بقوله: «أنا زعيم
ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء
وإن كان محققاً» أخرجه أبو داود

(١) سير أعلام النبلاء ٥٧/٢.



والترمذي وحسنه ^(١) .

وهذا الخلق الكريم مبني على
الزهد في الدنيا والتجرد من حظ
النفس، ومن نتائجه الطيبة قطع
أسباب النزاع والشقاق، وتقوية
المودة والأخوة بين المؤمنين.

(١) سنن أبي داود، رقم ٤٨٠٠، سنن الترمذي ،
رقم ١٩٩٣.



من مواقف عبد الله بن المبارك
رحمه الله

من أخبار السخاء وبذل
المعروف مذكره الحافظ ابن كثير في
ترجمة الإمام عبد الله بن المبارك
المروزي، قال ابن كثير في ترجمته:
وكان إذا عزم على الحج يقول
لأصحابه: من عزم منكم في هذا
العام على الحج فليأتني بنفقته حتى
أكون أنا أنفق عليه، فكان يأخذ منهم



نفقاتهم ويكتب على كل صرة اسم
صاحبها ويجمعها في صندوق، ثم
يخرج بهم في أوسع ما يكون من
النفقات والركوب، وحسن الخلق
والتيسير عليهم، فإذا قضوا حجتهم
يقول لهم: هل أوصاكم أهلوكم
بهدية؟ فيشتري لكل واحد منهم
ماوصاه أهله من الهدايا المكية
واليمينية وغيرها، فإذا جاؤوا إلى
المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية،



فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء
الطريق إلى بيوتهم فأصلحت
ويُيِّضت أبوابها، ورُمِّم شعنها، فإذا
وصلوا إلى البلد عمل وليمة بعد
قدومهم، ودعاهم فأكلوا وكساهم،
ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه
وأخرج منه تلك الصرُّر، ثم يُقسَم
عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي
عليها اسمه، فيأخذونها وينصرفون
إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون



لواء الشناء الجميل، وكانت سُفرته
تُحمل على بعير وحدها وفيها من
أنواع المأكول من اللحم والدجاج
والحلوى وغير ذلك، ثم يطعم
الناس وهو الدهر صائم في الحر
الشديد ^(١).

وبعد: فهذا نموذج عالٍ للكرم

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٤ - ١٨٥.

والإحسان وبذل المعروف، جمع فيه
ابن المبارك بين بذل ماله الكثير في
النفقة على الحجاج وبذل نفسه في
خدمتهم وقضاء حوائجهم، فالذي
يحب معه يكون سعيداً لأنه يُكفَى همَّ
إعداد النفقة وتأمين اللوازم الخاصة
في السفر وشراء الهدايا، ثم إذا عاد
إلى بيته يجده مجدداً مزيّناً بعده، إلى
جانب ما هو أهم من ذلك وهو
الاستفادة من علمه وعبادته وزهده



وورعه وأخلاقه.

وبهذه الأخلاق العالية من ابن
المبارك وبما تحلَّى به من العلم النافع
وتعليم الأمة والتربية والجهاد ساد
مجتمعا كبيرا في زمنه، وكان الناس
يستقبلونه ويسيرون معه في حشود
كبيرة في أي بلد حلَّ فيه.

من مواقف أمير المؤمنين المهدي رحمه الله

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن
كثير من أخبار الكرم النادرة، وذلك
فيما جرى لأمر المؤمنين المهدي في
ضيافته عند أحد الأعراب.

قال ابن كثير: وقدم أعرابي
ومعه كتاب مختوم فجعل يقول: هذا
كتاب أمير المؤمنين إليّ، أين الرجل
الذي يقال له الربيع الحاجب؟ فأخذ



الكتاب وجاء به إلى الخليفة، وأوقف
الأعرابي وفتح الكتاب فإذا هو قطعة
أديم^(١) فيها كتابة ضعيفة، والأعرابي
يزعم أن هذا هو خط الخليفة، فتبسم
المهدي وقال: صدق الأعرابي هذا
خطي، إني خرجت يوماً إلى الصيد
فضعت عن الجيش وأقبل الليل

(١) أي من جلد.



فتعوذت بتعويد رسول الله ﷺ، فَرَفَعَ
لي نار من بعيد فقصدتها، فإذا هذا
الشيخ وامراته في خباء يوقدان نارا،
فسلمت عليهما فردا السلام، وفرش
لي كساء وسقاني مذقة من لبن^(١)
مشوب بالماء فما شربت شيئا إلا وهو
أطيب منه، ونمت نومة على تلك

(١) المذقة اللبن الممزوج بالماء.

العباءة ما أذكر أني نمت أحلى منها،
فقام إلى شويهة له فذبحها، فسمعت
امرأته تقول له: عمدت إلى مكسبك
ومعيشة أولادك فذبحتها، هلكت
نفسك وعيالك، فما التفت إليها،
واستيقظت فاشتويت من لحم تلك
الشويهة وقلت له: أعندك شيء أكتب
لك فيه كتابا؟ فأتاني بهذه القطعة
فكتبت له بعود من ذلك الرماد خمس
مائة ألف وإنما أردت خمسين ألفاً،



والله لانفذتْها له كلَّها ولو لم يكن في
بيت المال سواها، فأمر له بخمس
مائة ألف فقبضها الأعرابي، واستمر
مقيما في ذلك الموضع في طريق الحاج
من ناحية الأنبار، فجعل يَقْرِئُ
الضيف ومن مر به من الناس،
فُعْرِفَ منزله بمنزل مُضيف أمير

المؤمنين المهدي^(١) .

ففي هذا الخبر مثلاً من
السخاء قدّم أحدهما ذلك الأعرابي
الذي ذبح شاته لضيفه وهو لا يملك
غيرها، وحينما ملك ذلك المال الكثير
بعد ذلك لم يبق يثمر ذلك المال
ويتاجر به وإنما رجع إلى خبائه ذلك

(١) البداية والنهاية (١٥٨/١٠) .



على طريق الحجاج فصار يبذل من
ذلك المال في إكرام الضيوف، وذلك
لأن الكرم كان فيه سجية، فما أن
ملك ذلك المال حتى صرفه فيما
يُرضي طموحه في هذا الجانب.

والمثل الثاني فيما قدّمه أمير
المؤمنين المهدي لذلك الأعرابي من
تلك المكافأة السخية التي فجّرت فيه
ينابيع الكرم ودفعته إلى الاستمرار
بذلك المعروف والإحسان.



من مواقف سوار صاحب المهدي

رحمه الله

من أخبار الإحسان والكرم
ماذكره الحافظ ابن كثير قال: وعن
سوار - صاحب رحبة سوار - قال:
انصرفت يوما من عند المهدي فجئت
منزلي فوُضِعَ لي الغداء فلم تُقبل
نفسي عليه، فدخلت خلوتي لأنام في
القائلة فلم يأخذني نوم، فاستدعيت
بعض حظاياي لأتلهى بها فلم



تنبسط نفسي إليها، فنهضت
فخرجت من المنزل وركبت بغلتي
فما جاوزت الدار إلا قليلا حتى
لقيني رجل ومعه ألفا درهم فقلت:
من أين هذه؟ فقال: من مُلكك
الجديد، فاستصحبته معي وسرت في
أزقة بغداد لأتشاغل عما أنا فيه من
الضجر، فحانت صلاة العصر عند
مسجد في بعض الحارات، فنزلت
لأصلي فيه، فلما قضيت الصلاة إذا



برجل أعمى قد أخذ بشيبي فقال: إن
لي إليك حاجة، فقلت: وما حاجتك؟
فقال: إني رجل ضرير ولكني لما
شممت رائحة طيبك ظننت أنك من
أهل النعمة والثروة فأحببت أن
أفضي إليك بحاجتي، فقلت:
وماهي؟ فقال: إن هذا القصر الذي
تجاه المسجد كان لأبي فسافر منه إلى
خراسان فباعه وأخذني معه وأنا
صغير، فافترقنا هناك وأصابني أنا



الضرر، فرجعنا إلى بغداد بعد أن
مات أبي، فجئت إلى صاحب هذا
القصر أطلب منه شيئاً أتبلغ به لعليّ
أجتمع بسوار فإنه كان صاحباً لأبي،
فلعله أن يكون عنده سعة يجود منها
علي، فقلت: ومن أبوك؟ فذكر رجلاً
كان أصحاب الناس إلي، فقلت: إني
أنا سوار صاحبُ أبيك، وقد منعني
الله يومك هذا النوم والقرار والأكل
والراحة حتى أخرجني من منزلي



لأجتمع بك وأجلسني بين يديك،
وأمرت وكيلى فدفـع له الألفى
الدرهم التى معه، وقلت له: إذا كان
الغد فأت منزلى فى مكان كذا وكذا،
وركبت فجئت دار الخلافة وقلت:
ماأتُحف المهدي الليلة فى السمر
بأغرب من هذا.

فلما قصصـت عليه القصة



تعجب من ذلك جدا وأمر لذلك
الأعمى بألفي دينار^(١).

فهذه حادثة عجيبة فيها مثل
من حكمة الله تعالى العالية في تدبير
أمر خلقه، حيث تجتمع الأسباب
الموصلة إلى مقاصدها من غير أن
يكون لمن جرت على يديه أحياناً أي

(١) البداية والنهاية ١٠/ ١٥٩.

قصد في ذلك، فهذا الغني المحسن
اجتمعت له تلك الأسباب التي
أخرجته من بيته في ساعة ماكان
يخرج فيها ليلقاه ذلك الأعمى الفقير
فيعرض عليه حاجته، ويشاء الله
تعالى أن يوافي ذلك المحسنَ أحدُ
عماله بشيء من المال ليكون طعمة
عاجلة لذلك الفقير.

فهذا موقف يُذكر في السخاء
والوفاء وبذل المعروف من سوار



صاحب أمير المؤمنين المهدي رفع الله
به حال ذلك الأعمى الفقير وسدَّ
حاجته.



من مواقف أبي عبد الله الواقدي رحمه الله

من ذلك ما أخرجه الحافظ أبو
بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي
من خبر القاضي أبي عبد الله محمد
ابن عمر الواقدي قال: أضقتُ [أي
أفلسْتُ] مرة من المزار وأنا مع يحيى
ابن خالد البرمكي، وحضر عيد
فجاءتني جارية فقالت: قد حضر
العيد وليس عندنا من النفقة شيء،



فمضيت إلى صديق لي من التجار
فعرفته حاجتي إلى القرض، فأخرج
إليّ كيساً مختوماً، فيه ألف ومئتا
درهم، فأخذته وانصرفت إلى منزلي،
فما استقررت فيه حتى جاءني صديق
لي هاشمي فشكى إلي تأخر غلته
وحاجته إلى القرض، فدخلت إلى
زوجتي فأخبرتها فقالت: على أيّ
شيء عزمت؟ قلت: على أن أقاسمه
الكيس، قالت ما صنعت شيئاً، أتيت



رجلا سوقة فأعطاك ألفا ومائتي
درهم، وجاءك رجل له من رسول
الله ﷺ رحم ماسة تعطيه نصف ما
أعطاك السوقة! ما هذا شيئا، أعطه
الكيس كله، فدفعته إليه، ومضى
صديقي التاجر إلى الهاشمي فسأله
القرض فأخرج الهاشمي إليه
الكيس، فلما رأى خاتمه عرفه،
وانصرف إليّ فخبّرني الأمر، وجاءني
رسول يحيى بن خالد يقول: إنما تأخر



رسولي عنك لشغلي بحاجات أمير
المؤمنين، فركبت إليه فأخبرته بخبر
الكيس، فقال: يا غلام هات تلك
الدنانير، فجاءه بعشرة آلاف دينار
فقال: خذ ألفي دينار لك، وألفين
لصديقك، وألفين للهاشمي، وأربعة
آلاف لزوجتك فإنها أكرمكم^(١).

(١) تاريخ بغداد (٣/١٩).

فهذه قصة عجيبة ظهرت فيها
نماذج عالية من الكرم الفياض، تردد
فيها الكرم بين التاجر الذي بذل المال
للواقدي مع حاجته إليه، والمرأة التي
أبت أن يكون التاجر أكرم من
زوجها، والواقدي الذي بذل ذلك
المال لمقترضه مع حاجته إليه، ولقد
كانت نتيجة ذلك الكرم المتبادل أن
حصل كل واحد من هؤلاء الكرماء
على مكافأة سخية من يحيى البرمكي
وزير أمير المؤمنين هارون الرشيد.



ولقد كان أبو عبد الله الواقدي
من الكرماء المشهورين يقول عن
نفسه: صار إليّ من السلطان ستمائة
ألف درهم ماوجبت عليّ فيها
الزكاة، ويقول عنه عباس الدوري:
مات الواقدي وهو على القضاء
وليس له كفن فبعث المأمون
بأكفانه^(١).

(١) تاريخ بغداد ٢٠/٣.



من مواقف دعلج السجستاني رحمه الله

من الذين اشتهروا بالكرم
المحدث الفقيه أبو محمد دَعْلَج بن
أحمد ابن دعلج السجستاني، روى
الخطيب البغدادي من خبر أحمد بن
الحسين الواعظ قال: أُودِعَ أبو عبد
الله ابن أبي موسى الهاشمي عشرة
آلاف دينار ليتيم، فضاقت يده
فأنفقها، وكبر الصبي وأذن له في
قبض ماله، قال ابن أبي موسى:



فضاقت عليَّ الأرض وتحيّرت،
فبكرت على بغلتي وقصدت الكرخ
فانتهت بي البلغة إلى درب السلولي،
ووقفتُ بي علي باب دعلج، فدخلت
فصليت خلفه الفجر، فلما انفتل
رحب بي، وبقمنا فدخلنا داره فقدمت
لنا هريسة، فأكلت وقصّرت، فقال:
أراك منقبضا، فأخبرته فقال: كل فإن
حاجتك تُقضى، فلما فرغنا استدعى
بالذهب والميزان، فوزن لي عشرة



آلاف دينار، وقمت أطير فرحا،
فوضعت المال على القربوس^(١)
وغطيته بطيلساني، ثم سلمت المال
إلى الصبي بحضرة قاضي القضاة،
وعظمُ الثناء علي، فلما عدت إلى منزلي
استدعاني أمير من أولاد الخليفة
فقال: قد رغبت في معاملتك

(١) هو جزء من السرج.

وتضمينك أملاكي، فضمتها
فربحتُ في ستي ربها عظيمها
وكسبت في ثلاث سنين ثلاثين ألف
دينار، وحملت لدعلج المال، فقال:
سبحان الله والله ما نويت أخذها،
حلّ بها الصبيان، فقلت: أيها الشيخ
أيش أصل هذا المال حتى تهب لي

عشرة آلاف دينار؟ فقال: نشأت
وحفظت القرآن وطلبت الحديث،
وكنت أتبزّز^(١) فوافاني تاجر من
البحر فقال: أنت دعلج؟ قلت: نعم.
قال: قد رغبت في تسليم مالي إليك
مضاربة، فسلم إليّ برنامجات بألف
ألف درهم، وقال لي: ابسط يدك فيه

(١) يعني يتاجر في الثياب.

ولا تعلمُ مكانا يُنفَقُ فيه المتاعُ إلا
حملته إليه، ولم يزل يتردّد إليّ سنة بعد
سنة يحمل إليّ مثل هذا، والبضاعة
تنمي، ثم قال: أنا كثير الأسفار في
البحر فإن هلكت فهذا المال لك على
أن تصدّق منه وتبني المساجد، فأنا
أفعل مثل هذا، وقد ثمر الله المال في

يدي، فاكنم عليّ ما عشت ^(١).

وبعد: فهذه نماذج من الكرم
الفياض، فذلك التاجر الذي لم يُذكر
اسمه قد فوض العالم دَعْلَج
السجستاني بالصدقة من ذلك المال
الكثير الذي أعطاه إياه ليتاجر به،
وكان دَعْلَج أميناً حيث عمل بوصية

(١) سير أعلام النبلاء ٣٣ / ١٦.

ذلك التاجر ولم يقصّر نفع المال على
نفسه وأسرته بل بذله في وجوه الخير.



من مواقف محمد بن عباد المهلبى
رحمه الله

مما رُوي من الكلام على خلق
الكرم ما ذكره أبو العيْناء قال: قال
المؤمن لمحمد بن عباد: أردت أن
أوليك فمَنْعني إسرارك قال: مَنْع
الجود سوء ظن بالمعبود، فقال: لو
شئت أبقيت على نفسك، فإن ما تنفقه
ما أبعد رجوعه إليك قال: من له
مولى غني لم يفتقر، فقال المؤمن: من



أراد أن يكرمني فليكرم ضيفي
محمدا، فجاءته الأموال، فما ذخر منها
درهما، وقال: الكريم لا تُحَنِّكه
التجارب ^(١).

فهذه كلمات بليغة في الكرم
تدل على عمق التوحيد، فمحمد بن
عباد المهلب ينفق وهو يعلم أن الله

(١) سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٩٠.

تعالى سِيَخْلُفُ عليه ما أَنْفَقَهُ وَلَعَلَّهُ
يَسْتَشْعِرُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ « ما مِنْ
يَوْمٍ يَصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ
يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ
مَنْفَقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ
أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا » ^(١) ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ
الْمَالِ مَالُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنَّهُ قَدْ

(١) صحيح البخاري، رقم ١٤٤٢، صحيح
مسلم، رقم ٥٧.

تكفل للمنفقين بالعوض، ويرى أن
الإمساك سوء ظن بوعده الله تعالى،
فكان ينفق حتى يستدين من أجل
ذلك فيهيئ الله جل وعلا من يسد
عنه دينه، كما رُوي أن المأمون قال له
مرة: كم دينك يا محمد؟ قال: ستون
ألف دينار فأعطاه مائة ألف دينار^(١).

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩٠.



من مواقف الوزير علي بن عيسى
رحمه الله

ذكر الحافظ ابن كثير في ترجمة
أبي الحسن علي بن عيسى بن الجراح
وزير المقتدر والقاهر من رواية أبي
القاسم علي بن الحسن التنوخي عن
أبيه عن جماعة: أن عطارًا من أهل
الكرخ كان مشهورًا بالسنة، ركب
ستمائة دينار دينًا، فأغلق دكانه
وانكسر عن كسبه ولزم منزله، وأقبل



على الدعاء والتضرع والصلاة ليالي
كثيرة، فلما كان من بعض تلك الليالي
رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول
له: اذهب إلى علي بن عيسى الوزير
فقد أمرته لك بأربعمائة دينار، فلما
أصبح الرجل قصد باب الوزير فلم
يعرفه أحد، فجلس لعل أحداً
يستأذن له على الوزير حتى طال عليه
المجلس وهمّ بالانصراف، ثم إنه قال
لبعض الحجة، قل للوزير إني رجل



رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأنا أريد
أن أقصه على الوزير، فقال له
الحاجب: وأنت صاحب الرؤيا إن
الوزير قد أنفذ في طلبك رسلاً
متعددة.

ثم دخل الحُجَاب فَأخبروا
الوزير فقال: أدخلوه سريعاً، فدخل
عليه فأقبل عليه الوزير يستعلم عن
حاله واسمه وصفته ومنزله، فقال له
الوزير: إني رأيت رسول الله ﷺ وهو



يأمرني بإعطائك أربعمائة دينار،
فأصبتُ لا أدري من أسأل
عنك، ولا أعرفك ولا أعرف أين
أنت، وقد أرسلت في طلبك إلى الآن
عدة رسل فجزاك الله خيرًا عن
قصدي إياي.

ثم أمر الوزير بإحضار ألف
دينار فقال: هذه أربعمائة دينار لأمر
رسول الله ﷺ وستمائة هبة من عندي،
فقال الرجل: لا والله لا أزيد على ما



أمرني به رسول الله ﷺ فإني أرجو
الخير والبركة فيه، ثم أخذ منها
أربعمائة دينار، فقال الوزير: هذا
الصدق واليقين، فخرج ومعه
الأربعمائة دينار فعرض على أرباب
الديون أموالهم فقالوا: نحن نصبر
عليك ثلاث سنين وافتح بهذا
الذهب دكانك ودم على كسبك،
فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم
الثلث وفتح حانوته بالمائتي دينار



الباقية، فما حال عليه الحول حتى
ربح ألف دينار^(١).

ففي هذا الخبر مثل من
المعروف والإحسان الذي كان
يتصف به الوزير على بن عيسى بن
الجراح.

وفيه مثل من رحمة الله جل

(١) البداية والنهاية ١١ / ٢٣١ - ٢٣٢.

وعلا بأوليائه المؤمنين الذي
يتضرعون إليه ويلجأون إليه وقت
الشدائد، ولا ينسون عبادته في حال
رخائهم، فإن ما تم من تقدير الله
تعالى هذه الرؤيا التي رآها هذا
الوزير والتي رآها صاحب الحاجة
إنما هو أثر من آثار التوحيد الخالص
الذي كان يتصف به هذا العطار، فإن
القلوب كلها بيد الله عز وجل
يصرفها كيف يشاء.



وفيه مثل من القناعة وصدق
اليقين، حيث اكتفى ذلك العطار
بالأربعمائة التي أمره النبي ﷺ في المنام
أن يأخذها من الوزير ورد بقية
الألف اعتمادًا على أن البركة فيما نص
عليه رسول الله ﷺ، فبارك الله تعالى
له فيها، وقضى منها دينه، وكوّن له
بها تجارة طيبة.

من مواقف العز بن عبد السلام

رحمه الله^(١)

قال الحافظ عبد الوهاب
السبكي: وحكى قاضي القضاة بدر
الدين بن جماعة رحمه الله أن الشيخ
(يعني العز بن عبد السلام) لما كان
بدمشق وقع مرة غلاء كبير حتى
صارت البساتين تباع بالثمن القليل،

(١) هو عز الدين بن عبد السلام السلمي.



فأعطته زوجته مصاعاً لها وقالت:
اشتر لنا به بستاناً نصيّف به، فأخذ
المصاع وباعه وتصدق بثمانه، فقالت:
يا سيدي اشترت لنا؟ قال: نعم،
بستانا في الجنة، إني وجدت الناس في
شدة فتصدقت بثمانه، فقالت: جزاك
الله خيراً^(١).

وهكذا اشترى هذا العالم

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٨٢/٥.

الرباني بستاننا في الجنة بدلا من بستان
في الدنيا، وهذا يدل على اتصافه
باليقين الراسخ حيث استحضر في
الحال الحياة الآخرة، ففضل تقديم
العمل الصالح لها على متاع الدنيا
الزائل، وإذا كانت هذه المسارعة إلى
الصدقة في مال زوجته فكيف الحال
لو كان عنده مال خاص به؟ وبمثل
هذا العالم وتوجيهه الرشيد تُحلُّ
أزمات الأمة وتزول شدائدُها.



ولقد كانت زوجته نعم المرأة
الطائعة البارة حيث سعدت بتصرفه
ذلك في مالها ودعت له بالخير.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	من مواقف في الكرم والإحسان (٣)
٧	من مواقف الليث بن سعد
١٠	من مواقف ابن شهاب الزهري
١٤	من مواقف الإمام الأوزاعي
١٧	من مواقف إبراهيم بن أدهم
٢٠	من مواقف الإمام الشافعي
٣٠	من مواقف القاسم بن محمد
٣٣	من مواقف عبد الله بن المبارك
٣٩	من مواقف أمير المؤمنين المهدي
٤٦	من مواقف سوار صاحب المهدي



٥٤	من مواقف أبي عبد الله الواقدي
٦٠	من مواقف دعلج السجستاني
٦٨	من مواقف محمد المهلب
٧٢	من مواقف الوزير علي بن عيسى
٨٠	من مواقف العز بن عبد السلام
٨٥	فهرس الموضوعات